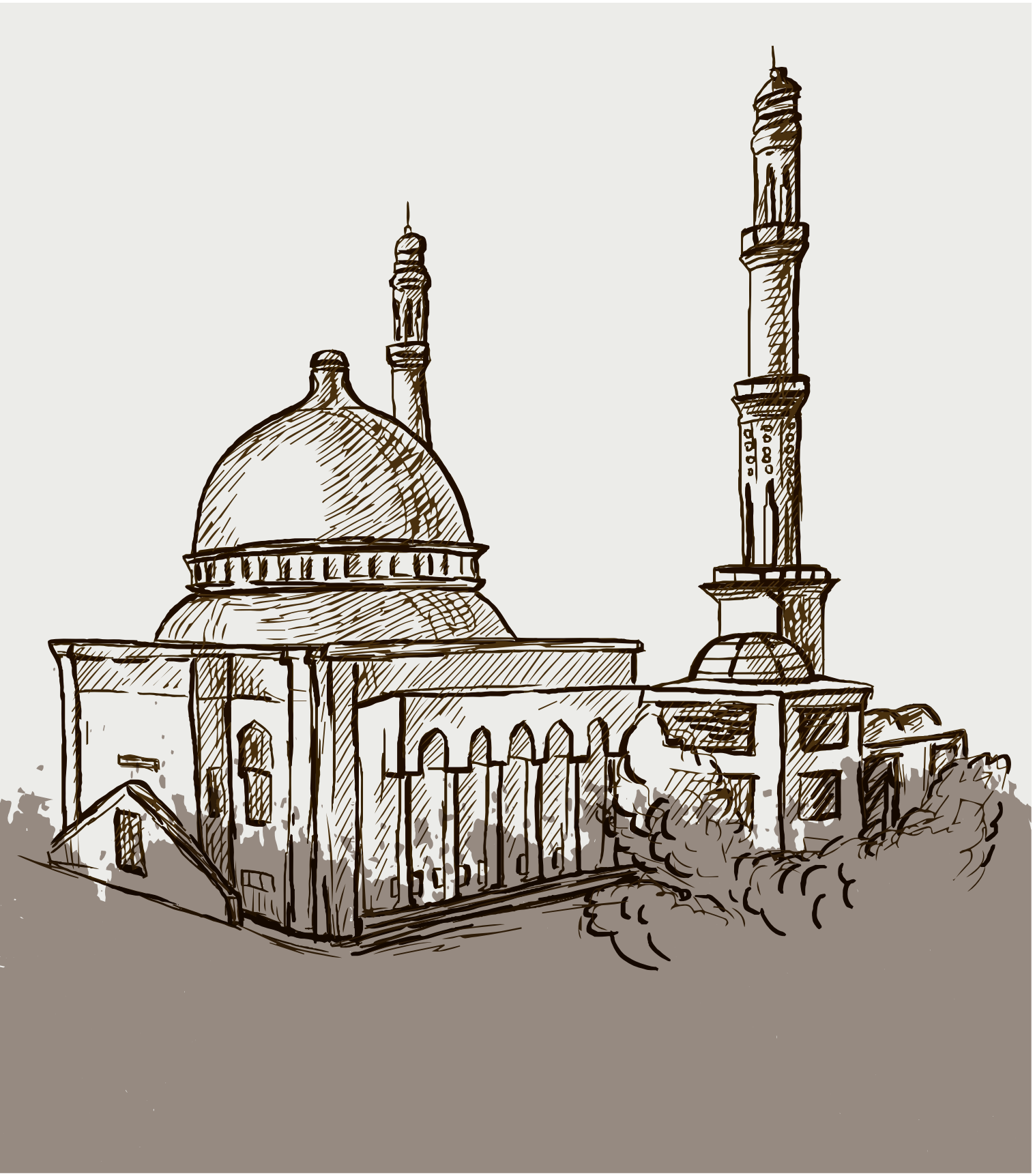

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

١ «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ،

٢ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ،

٣ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»(٨٦).

(٨٦) رواه مسلم (٢٩٩٦).

آيات

- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٦- ٢٧].
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤].
- ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٤- ١٥].
- ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

الراوي

هي أمُّ المؤمنين، عائشةُ بنتُ أبي بكرٍ عبدِ الله بنِ أبي قحافةَ عثمانَ بن عامرٍ القرشيةُ، التَّيميةُ، الصدِّيقة بنت الصدِّيق، الطَّاهرة المبرَّأة من السماء، تزوجها رَسُول اللهِ ﷺ بمكة قبل الهجرة بسنتين، وَأَعْرَسَ بها بالمدينة بعَد عودته من غزوة بَدْر في شَوَّال سنة ٢هـ، ولم يتزوَّج بِكرًا غيرها، ولا أحَبَّ امرأة حُبَّها، تُوفِّيت على الصحيح سنةَ (٥٧هـ) بالمدينة، وهي يومئذ بنتُ ستٍّ وستين سنةً(١).

خلاصة

ذكر النبيُّ ﷺ أصلَ خلقِ بعضِ الكائنات، فأخبر أنَّ الملائكة خُلقت من نور، وأن الجنَّ خُلقت من نار، وأن آدم ﷺ خُلق من التراب على نحو ما فصَّل الله في القرآن.

(١) يراجع ترجمتها في: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٤/ ١٨٨١)، «أسد الغابة» لابن الأثير (٧/ ١٨٦)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٨/ ٢٣٤).

١ ذكر النبيُّ ﷺ أنَّ اللهَ تعالى قد خلق الملائكةَ من النور.

والملائكةُ خلقٌ من خلقِ الله تعالى، لهم أجسامٌ نورانية لطيفة، قادرةٌ على التشكُّل والتمثُّل والتصوُّر بالصور الكريمة، ولهم قوًى عظيمةٌ وقدرةٌ كبيرة على التنقُّل، وهم خلقٌ كثير لا يَعلَم عددَهم إلا الله سبحانه، اختارهم لعبادته والقيام بأمره، فلا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمَرون.

٢ ثم أخبر ﷺ أن الله سبحانه **خلق الجِنَّ من اللهب المختلط بسواد النار**.

٣ ثم ذكر ﷺ أن الله خلق آدمَ أبا البشر مما وصف لنا في الكتاب وأخبر به ﷺ في السُّنَّة. وهذا من الاختصار والإيجاز، وقد أُوتي ﷺ جوامع الكلم.

وقد جاء وصفُ خلقِ آدم في كتاب الله تعالى مرارًا، جاء فيها أنَّه خُلِقَ من تراب، وفي بعضها أنه خُلق من ماءٍ، ومن طينٍ، ومن طينٍ لازب، ومن صلصال كالفخار، ومن صلصال كالحمأ المسنون. ولا اختلاف في ذلك؛ فإن الله تعالى خلقه من تراب؛ أضاف إليه ماءً فصار طينًا لازبًا يمتزج ببعضه ويلتصق، ثم تُرك حتى اسودَّ وأنتن وذلك الحمأ المسنون، ثم طُبخ في النار حتى يبس وصار كالفخار(٨٧).

وقد أخبر ﷺ أنَّ الله عزَّ وجلَّ أخذ قبضاتٍ مختلفة من تراب الأرض لخلق آدم، ولذلك اختلفت أجناس الناس وطبائعهم، فَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ، جَاءَ مِنْهُمُ الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ»(٨٨).

كما أنَّ خلق الإنسان اختلف أنواعًا؛ فخلقُ آدم لا يشبه خَلْقَ حوَّاء، وخَلْقُ عيسى مخالفٌ لهما، وخَلْقُ الثلاثة غير خَلْقِ سائر البشر.

---

(٨٧) ينظر: «التفسير الوسيط» للواحدي (٣/ ٤٤)، «تفسير النسفي» (٣/ ٤١١).

(٨٨) رواه أحمد (١٩٥٨٢) وأبو داود (٤٦٩٣)، والترمذيُّ (٢٩٥٥).

استنباط

١ الإيمان بالملائكة والجنِّ من الأمور الغيبية التي يتوقف الإيمان عليها، وقد امتدح اللهُ تعالى المؤمنين فقال: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]، فيجب على كل مؤمن أن يؤمن إجمالًا بوجود الملائكة، وأنهم خلقٌ من خلق الله تعالى، لا يعصون الله ما أمرهم، ويؤمن بوجود الجنِّ، وأنهم مخلوقون من النار، وأنَّهم مُكَلَّفون مثلنا، فمن آمن دخل الجنة، ومن عصى استحقَّ النار، ونؤمن تفصيلًا بما عرفنا من أخبارهم وأوصافهم وأسمائهم ونحو ذلك.

٢ التفكُّر في صُنع الله تعالى يُورث القلبَ إيمانًا وتقوى ومهابةً لله تعالى، ولذلك أَمَر سبحانه في كثيرٍ من آياته بالتفكر في خلق الله.

٣ هذا الحديث دليل على عظم قدرة الله، حيث خلق ثلاث مخلوقات من ثلاثة مواد مختلفة الجنس، وكل منها له صفاته الخاصة به.

٤ إذا كانت الملائكةُ على صورتها العظيمة تلك وقوتها المُفرطة التي لا تُقارن بقوى البشر لم تقدر أن تعصي الله تعالى أو تخرج عن قهره وملكه، فكيف بالإنسان الضعيف العاجز الذي لا حيلة له؟!

٥ ينبغي على المُعَلِّم والداعية أن يُفصِّل ما يغيب عن عِلْم الناس، ويختصر ما عَلِمُوه وشاهدوه واستفاض فيهم أمره، وإلا كان الكلام حشوًا وثرثرةً بلا فائدة.

قال الشاعر:

لله فـي الآفـاقِ آيـاتٌ لَعَـلْ ... لَأَقَلَّهَـا هُـو مَـا إِلَيْـهِ هَـدَاكَ

وَلَعَـلَّ مَـا فِي النَّفْـسِ مِـن آيَاتِـهِ ... عَجَبٌ عُجَابٌ لَـو تَرَى عَيْنَاكَ

وَبوَالْكَـوْنُ مَشْحُـونٌ بِأَسْرَارٍ إِذَا ... حَاوَلْـتَ تَفْسِيـرًا لَهَـا أَعْيَـاكَ